

معارضة (لم تبق قدس)

شعر: د. حجر أحمد حجر البنعلي

قصة القصيدة: في ٦ ديسمبر ٢٠١٧ أصدر الرئيس الأمريكي دونالد ترامب قراراً بالاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، ووقعه أمام عدسات المحطات الفضائية، وأمر بنقل سفارة الولايات المتحدة الأمريكية إلى القدس، خلافاً لجميع قرارات الأمم المتحدة. قرار الرئيس الأمريكي هذا المجحف بحق العرب والمسلمين، أثار مشاعر الشاعر، فتذكر قبل خمسين سنة قصيدة كتبها وهو شاب صغير يدرس في جامعة كولرادو الأمريكية، حين خسر العرب حرب ١٩٦٧م مع إسرائيل، واحتلت الدولة اليهودية مزيداً من الأراضي العربية، وسلبت القدس. وكان الشاعر يتألم وهو يشاهد التلفزيون الأمريكي آنذاك يستهزئ بالعرب، ويشتمت بهم ويحط من شأنهم. عندها عبر الشاعر عن مشاعره الحزينة في ١٠/٦/١٩٦٧ بكتابة قصيدة (حسرة)، التي نشرت في ديوانه (حين إلى الخليج) قال فيها:

لم تبقَ قدسٌ بأيدينا ولا سينا	ولا السفينُ سفيناً في موانينا
فالقدسُ تبكي وتشكو أنها أسرت	يا ويحَ قومي إنَّ القدسَ تشكونا
نامت قيادتنا تاهت عساكرنا	قلَّتْ مرابعنا، زادت نواعينا
أيامَ هارونَ كنا أمةً، فعدت	تلك الحقيقةُ بعضاً من أمانينا
كانت لنا الأرضُ تلوها بيارقنا	لا تهطلُ السحبُ إلا في روابينا
تفرَّقَ الشملُ بعدَ الجمعِ وأسفي	على الليالي التي كانت ليالينا
فكم غزونا وأفينا العدا زماناً	واليوم نهربُ والأعداءُ تغزونا
هذا التفرُّقُ يا ويلاه أضعفنا	بل كادَ يهلكنا أو كادَ يفنينا
فلننحذُ كلنا حالاً بلا مطلٍ	فوحدةُ العُربِ بعدَ الله تُنجينا



وعندما تذكر الشاعر تلك القصيدة القديمة شعر بالرغبة في معارضتها فكتب:

(لم تبقَ قدسٌ بأيدينا ولا سينا) قصيدةٌ قتلها من قبلِ خمسينا
(تفرَّقَ الشملُ بعدَ الجمعِ) قلتُ بها واليوم هأنذا أشكو تجافينا

خَمْسُونَ عَامًا مَضَتْ مُذْ كُنْتُ أَكْتُبُهَا
 وَالْيَوْمَ يَا قَدِيسُ مِثْلُ الْأَمْسِ مَاضِينَا
 (فَلنَتَّحِدْ) قَلْتُهَا، وَالْيَوْمَ وَاسْفِي
 (أَضْحَى التَّنَائِي بَدِيلًا مِنْ تَدَانِينَا)^١
 أَحْرَانُنَا مَزَقَتْ أَكْبَادَنَا أَسْفًا
 وَزَادَنَا شَجَنًا شَمَتُ الْعِدَى فِينَا^٢
 خَمْسُونَ عَامًا وَسَلَبُ الْقَدِيسِ يَوْمِنَا
 بَغِيًّا وَيَقْهَرُنَا ظُلْمًا وَيُشْجِينَا
 صَارَتْ مَصَائِبُنَا تَكْوِي ضَمَائِرَنَا
 كَادَتْ مَشَاعِرُنَا بِالْيَأْسِ تُرْدِينَا
 لَقَدْ رَمَى الْعَرَبُ فِي وَجْدَانِ أُمَّتِنَا
 أُنْبَاءَ صَهْيُونَ فَاحْتَلُّوا رَوَابِينَا^٣
 قَد مَهَّدُوا لِأَغْتِصَابِ الْقَدِيسِ خَطَّتْهُمْ
 فَوْطَنُوا قَوْمَهُم بِالْبَغْيِ تَوَطِينَا
 صَوْتُ النُّوَاقِيسِ وَالتَّكْبِيرِ مَيَّرَهَا
 وَالنَّاسُ تَتَّبِعُ مَا تَرْضَى لَهَا دِينَا
 فَالْقَدِيسُ مَوْطِنُ كَنْعَانٍ وَقَبْلَتُنَا
 فِيهَا كَنَائِسُنَا صَاحَتْ تَنَادِينَا
 تَمَكَّنَتْ مِنْ قُلُوبِ الْعَرَبِ قَاطِبَةً
 وَزَادَهَا الدِّينُ وَالْإِيمَانُ تَمَكِينَا
 اسْتَنْجَدَتْ عَرَبًا وَالْمُسْلِمِينَ لَهَا
 فَأَنْجَدُوهَا بِدَعَوَاتِ الْمُصَلِّينَا^٤
 وَالْقَدِيسُ تَعَجَّبُ مِمَّا نَحْنُ نَفَعْلُهُ:
 نَدْعُو عَلَيْهِمْ كَثِيرًا فِي نَوَادِينَا
 مَنْ غَيْرِ ابْنِ فِلَسْطِينَ يَهْبُ لَهَا
 سَادَاتُنَا فِي رِضَا (دُولِنْد) لَاهُونَا^٥
 وَلا تَنَا خَضَعُوا لِلذُّلِّ وَيَلَهُمُ
 جُبْنَ الْوَلَاةِ وَهَذَا الذُّلُّ يُضْنِينَا^٦
 وَلاةٌ أَمْرٌ، لَهُمْ يَدْعُو أُمَّتُنَا
 بِطَوْلِ عَمْرٍ، فَيَدْعُو النَّاسُ: آمِينَا

نلنا من العزّ قبلَ اليومِ ما شينا
 (كانت لنا الأرضُ تعلوها بيارقُنَا)
 كُنَّا نَسِيرُ إلى العلياءِ في زمنٍ
 لم يُعرَفِ المجدُ إلا في مواطننا
 لم يُجدنا اليومَ ما شادت أوائلنا
 دَعِ البطولاتِ من تاريخِ أمتنا
 كُنَّا ملَكنا الدنَى أيامَ قوتنا
 لم يبقَ من عَزِّنا شيءٌ لمفخرةٍ
 نَسْتَعِطِفُ الغربَ ومريكا حِمائِنَا
 علاقهُ الغربِ بمريكا مقدَّسةٌ
 عدا علينا طُغاهُ الغربِ ثم ضرت

واليومَ ما خطبنا خابت مساعينا؟
 قد قلتُ مفتخرًا أزهو بماضينا^٧
 كانت نُجومُ السما تَرنو لحاديننا^٨
 ولا المكارمُ إلا من أيادينا
 إذ نحنُ في رحمةِ الأعلاجِ آوونا^٩
 دَعِ عنك يرموكَ يا صاحِ وحِطِّينا^{١٠}
 واليومَ صرنا بلا حَوْلٍ مساكيننا
 حتى الرسومُ طَمَسناها بأيدينا^{١١}
 نحنُ النعاجُ فكيفَ الذئبُ يحميننا؟
 وهي التي عَززتَ فينا السكاكيننا
 تسومنا الظلمَ أمريكا وتغزوننا

الحقُّ والعدلُ والإنصافُ يُرضينا
 لا تأخذوا أهلَ أمريكا بساستِها
 رحلتُ أدرسُ في العشرين من عمري
 ذهبتُ أطلبُ علمًا في معاهدِهِم

شعبُ (الولاياتِ) شعبٌ لا يُعاديننا^{١٢}
 لا تَعذِلوهم، فما كانوا مُعاديننا
 ذكرى الصبا آنذاكَ اليومَ تُصبينا^{١٣}
 وقد نهلتُ وأسعفتُ المُصابينا

عاشرتهم زَمناً شاركتهم عملاً
عرفتُ فيهم أصبحاباً أشاركهم
إني لأشهدُ ما ساءوا لمُعْتَرِبِ
هذي الحروب التي شنت وأُضرمها
قالوا انتخبنا قياداتٍ تمتلئنا
لا يعبؤون بما في الأرضِ من لَهَبِ
لا يدركون الذي تجني حكومتهم
رافقتهم أمدًا، سهدُ ليالينا
في العطفِ والرفقِ إذ كنا المُداوينا
أيامنا، ولنا كانوا مُحَبِّبينا
ساساتهم، ما لها كانوا مُقرينا
العدُلُ في دارنا يُغني ويكفينا
ساهونَ عن خارجِ أمريكا ولاهونا
على الشعوبِ هنا، ظلماً فتشقيننا

ما بالُ والدِ إيفانكا يُعادينا
(دونلد) يَفَجِّعُنَا بِالْقَدْسِ مُبْتَهَجًا
وصار يُشعلُ في كلِّ الدنَى فِتْنًا
يَجني علينا وَيَجني من مَوارِدِنَا
لا تسألوه لَنَا عَدَلًا لِيُنصِفَنَا
دَعَت عليه جُموعُ المسلمين بأن
يا صِهْرَ كُشَنَرِ إِنَّ الصَّهْرَ ضَلَّكُمْ
يَتألُ من مالنا والسَّمَّ يُسقيننا؟^{١٤}
يُقَدِّمُ القَدْسَ .. يستهوي أعادينا
يا لَيْتَهُ عن حروبِ اليومِ يُقْصِينَا
يَحمي لُصوصًا وحكَّامًا تُعادينا
مَنْ قالَ إن أبا (إيفانك) قاضينا؟
يَعَصَّ غصًا (فقالَ الدهرُ آمينا)^{١٥}
بالدينِ حينًا وفي كَسْبِ الرِّضَا حينًا^{١٦}

أشجاننا كَثُرَتْ زادت أفانينا تزدادُ سوءًا مدى الأيام تُفَنِّينا
 طغى الخنوعُ على قومي وأمّتنا فاستسلمت، قَبِلتْ ذُلَّ المُدْلِينا
 لم تَأبِ ساداتنا أن يُسْتَبَدَّ بنا فلا نَزُدُ أذى من صارَ يُؤدِّينا
 لقد نَشَّانا بأشجانٍ تعاودنا سَلْبُ الديارِ وهذا الذُّلُّ يُشجِّينا
 كأننا مَحْمَلٌ والريحُ تَدْفَعُهُ سَكَّانُ مَحْمَلِنَا في غيرِ أيدينا^{١٧}
 يا وَيحَ نَفْسِي ماتت أمتي أسفًا لَعَلَّ جيلَ غدٍ يا قومُ يُحيينا

٢٠١٧-١٢-١٠

الشرح:

١. اقتباس من قصيدة ابن زيدون الشهيرة.
٢. إشارة لاستهزاء وشماتة التلفزيون الأمريكي بالعرب في حرب ١٩٦٧.
٣. الوجدان: الضمير، ووجدان المرء: نفسه وقواه الباطنية، وموطن كل العواطف والرغبات والأحاسيس.
٤. المقصود أن العرب والمسلمين تقاعسوا عن نجدة القدس بالرجال والسلاح في محتتها، واكتفوا بالدعاء لها في المساجد فقط.
٥. دونالد: الرئيس الأمريكي دونالد ترامب.
٦. يظني: ينهك ويسقم.
٧. الاقتباس من قصيدة (حسرة) المذكورة أعلاه.
٨. ترنو إلى الصوت: تصغي بإعجاب وتطرب، وترنو إلى الشيء: تُديم النظر فيه.
٩. الأعلاج: جمع عِلج وهم كفار العجم.
١٠. اليرموك: معركة اليرموك بين المسلمين والروم سنة ٦٣٦م انتصر فيها المسلمون. وحطين: معركة حطين بين الصليبيين والمسلمين سنة ١١٨٧م التي انتصر فيها المسلمون أيضًا بقيادة صلاح الدين.
١١. إشارة إلى ما هدم وأحرق الإرهابيون في سورية والعراق من آثار، ونهبوا كنوزًا أثرية باسم الإسلام.
١٢. الولايات: الولايات المتحدة الأمريكية، التي غالبًا ما نكتفي بتسميتها أمريكا.
١٣. تُصبي: تستميل وتستهوِي.
١٤. إيفانكا: الابنة المحبوبة، ومستشارة أبيها الرئيس الأمريكي دونالد ترامب.
١٥. الاقتباس من قصيدة ابن زيدون المذكورة أعلاه.
١٦. كُشتر: رجل يهودي، متعصب لإسرائيل، وزوج إيفانكا ابنة الرئيس ترامب.
١٧. مَحْمَل: مصطلح خليجي لسفينة خشبية كبيرة تعبر المحيطات. السكان: دفة السفينة.